والأفق المحدود للقيادات التقليدية، التي توالت على قمة العمل الوطني الفلسطيني؛ وكانت دائماً أدنى قدرة من متطلبات المرحلة، ومن طاقات الشعب وإرادته على القتال، دفاعاً عن أرضه وقضيته.

قضية فلسطين محور الوعي في انتماء مصر العربي

كانت مصر، حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن، محلاً لصراع فكري حاد، حول الهوية المصرية وآفاقها، إذ تصارعتها اتجاهات ثلاثة: ١ ــ التيار الاسلامي. ٢ ــ التيار الليبرالي (التيار القومي المصري) ٣ ــ والتيار العروبي.

فالتيار الإسلامي الذي تربع على قمة مراكز التأثير الفكري، منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى مجيء محمد علي، كان، آنذاك، أعلى الأصوات المؤثرة في الوجدان الشعبي، ضد الفرنسيين ثم ضد المماليك والعثمانيين، وكان ذا أفق «لا قومي»، يؤمن بنوع من «الأممية الإسلامية» ترفض «المحدودية القومية»، و«الباعث الرئيسي له الجهاد المقدس ذو الجوهر الاسلامي» (ص ٢٥)، ولقد تبلور هذا الاتجاه، في فكرة الجامعة الاسلامية، «التي حاول السلطان عبد الحميد الثاني، (١٨٧٦ ــ ١٩٠٩)، استخدامها كأداة، تحقق له التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية، لكن واضع الحجر الأساسي، في فكرة الجامعة الاسلامية، هو الإمام جمال الدين الأفغاني» (ص ٢٦)، [الذي تركزت جهوده حول الإصلاح الديني، والإصلاح على أساس الدين]. وبعد هزيمة الثورة العُرابية، استلم مصطفى كامل، زعيم الحزب الوطني، راية الدعوة لهذه الفكرة، فأضاف إليها ما شكّل محوراً، لحركته وحركة حزبه، بناءً على مجموعة من الأفكار الأساسية، أهمها: **أولاً**، إن المسألة المصرية مسألة دولية ويجب الاستعانة بأوروبا «وبشكل رئيسي فرنسا»، لإكراه الانكليز على الرحيل عن مصر. **وثانياً**، ضرورة التشبث بالدولة العثمانية، وبالخلافة الاسلامية فيها، باعتبارها صاحبة السيادة الشرعية على مصر. **وثالثاً**، الدعوة للجامعة الاسلامية، على أساس التفاف الشعوب الاسلامية حول الدولة العثمانية.

أما **التيار الليبرالي** الذي جسّد مطامح النخبة الشابة في المجتمع، تلك النخبة التي تلقت العلوم والمعارف العلمانية، واستكملت دراساتها في فرنسا وانجلترا، وآمنت بالمفاهيم الغربية العصرية، وبأن مدخل مصر إلى الحضارة هو «اقتباس أسباب التفوق الاوروبي»، (ص ٣٧)، فلقد كان أبرز ممثليه، أحمد لطفي السيد... وهذا التيار الذي كان ينمو ببطء، «وعلى استحياء» خلال القرن التاسع عشر، بدأ يشهد نمواً زاحفاً مع بدايات القرن العشرين، في ظل الاحتلال البريطاني وتشجيعه، واتسع نفوذه، خلال فترة ما بين الحربين، لأسباب موضوعية، أهمها: ان تشتيت قوات الاحتلال البريطاني، بقيادة اللورد كيتشنر، لقيادات الحزب الوطني، قد أضعف نفوذ التيار الاسلامي وفتح الطريق أمام التيار العلماني للتقدم. كما أن المتغيرات الايديولوجية التي واكبت التبدلات الاجتماعية والاقتصادية، الحادثة في مصر بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، وكذلك انهيار الدولة العثمانية وتفتت امبراطوريتها، قد ساعدت كثيراً على ذلك. ولقد انقسم ممثلو هذا التيار إلى اتجاهين يمكن أن يُطلق عليهما: **اتجاه «القومية المصرية»** الخالصة، **واتجاه «المصرية ــ الافريقية»**، يرى بعض أركان الاتجاه الأول أن مصر كانت جزءاً من حضارة البحر المتوسط دوماً (مصر المتوسطية: قاسم أمين، لطفي السيد وطه حسين)، ويرى البعض الآخر أن مصر فرعونية الأصول والجذور، وأن الإسلام مسؤول عن اهمال هذه الاصول والجذور وادخال مصر في منحى آخر، هو المنحى العربي (د. محمد حسنين هيكل، أحمد أمين، د. حسين مؤنس، عباس العقاد وآخرون)... والاتجاه الثاني، اتجاه المصرية ــ الافريقية، يتوجه بالأنظار صوب منابع النيل ووديه؛ ويرسل البصر عبر قارة افريقيا، باعتبارها أصل العلاقات التاريخية والجغرافية و«المجال الحيوي» لمصر في المرحلة القادمة... الخ، لكن هذين الاتجاهين، اللذين وجدا تشجيعاً صريحاً ومستتراً، من الغرب عموماً والاحتلال الانكليزي على وجه الخصوص، لم يمثلا، في واقع الأمر، حذراً حقيقياً في «الشارع المصري»، «ولم يكن لهما صدى سياسي، بل انحصرا في مدرسة أدبية لم تمارس أي نفوذ على الكتل الأخرى، كما أن بعض دعاتها اتجه اتجاهاً مصرياً معتدلاً، أو اسلامياً صريحاً، أو عربياً على الأقل»، (ص ٤٥).